

مصادر الحجج النّقلي في الخطاب النّحوي البصري
- نماذج مختارة من كتاب سيبويه -

**The sources of the argumentative style transmission in the visual grammatical
discourse
- selected models from Sibawayh's book -**

سنا حمايدية

جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، hamaidia.sana@univ-guelma.dz

فردوس بوقموم

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)، foufalfirdaws@gmail.com

الملخص:

تعدّ مصادر الحجج وآلياته من أهم الركائز التي تحقق المقاصد بين المتكلم والمتلقي، لذلك أردنا أن نقف على هذه الآليات، وأثرنا أن نوضحها من خلال مدونة نحوية. ولا يخفى أن كتاب سيبويه يعد خطابا نحويا بصريا بامتياز، كيف لا؟ وهو أول كتاب مكتمل في النّحو، فالكتاب بحق نموذج النّحو البصري ورأس هرمه وقمته بدون منازع، لذلك أردنا تتبع معالم الحجج النّحوي ومصادره في بعض النّماذج منه.

فاختارنا موضوعا لمداخلتنا وسمناه بـ "مصادر الحجج النّقلي في الخطاب النّحوي البصري- نماذج مختارة من كتاب سيبويه-"

وتروم هذه الورقة البحثية إلى تحقيق عدّة أهداف أبرزها: معرفة منهج سيبويه في الاعتماد على الحجج النّقلية، والوقوف على أهم مصادر الحجج في كتابه.

الكلمات المفتاحية:

مصادر الحجج، الحجج النّقلية، الخطاب النّحوي، النّحو البصري، كتاب سيبويه.

Abstract :

The sources and mechanisms of the argumentative style are among the most important pillars that achieve the purposes between the speaker and the recipient, so we wanted to stand on these mechanisms, and we chose to clarify them through a grammatical blog.

It is no secret that Sibawayh's book is a visual grammatical discourse par excellence. How not? It is the first complete book on grammar, as the book is truly the model of visual grammar. For this matter we wanted to trace the landmarks of the grammatical argumentation and its sources in some samples of it.

We have chosen a topic for our intervention and entitled it "Sources of Argumentation Transcription in Visual Grammar Discourse - Selected Models from Sibawayh's Book".

This research paper aims to achieve several goals, most notably: Knowing Sibawayh's approach to relying on transfer arguments, and identifying the most important sources of argumentations in his book.

Keywords:

Sources of argumentations, transmission arguments, grammatical discourse, visual grammar, Sibawayh's book

1. مقدمة:

يعدّ الحجج من المواضيع المهمة، فقد تهافت الباحثون على رصد تجلياته في مختلف المدونات اللغوية والأدبية، فهو تقنية ملازمة لكل خطاب، وميزة أساسية للتواصل وتحقيق مقاصد المتكلمين، فلا تكاد تجد خطابا خاليا من تقنياته وآلياته باعتباره أبرز وسائل الإقناع والتأثير في المتلقي. والخطاب التّحوي الذي تشكل القواعد التّحوية كنهه وجوهره لا يخلو من الآليات الحججية، إذ أنّ الحجج فيه ضروري لا محال. لذلك فحصر مجال الحجج في الخطاب التّحوي يبني على إثبات القواعد اللغوية وتوضيحها وتفسيرها من خلال الاعتماد على مصادر حجج اتفق العلماء على أنها أصل يبنون عليه قواعدهم.

وقد انطلقنا من إشكالية مفادها: ما هي مصادر الحجج في الخطاب التّحوي البصري؟ وما هو منهج سيبويه في الاعتماد على الحجج النقلية في كتابه؟ لذلك تروم هذه الورقة البحثية الوقوف على حجج الخطاب التّحوي متمثلا في كتاب سيبويه، وأهم الحجج النقلية فيه انطلاقا من بعض النماذج من الكتاب من أبواب نحوية مختارة وهي:

• باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن

• باب ما ينتصب خبره لأنه معرفة وهي معرفة لا توصف ولا تكون وصفا

• باب من الفعل يستعمل في الاسم

• باب يجري النعت على المنعوت

وقد سلطنا في إنجاز هذه الورقة البحثية المنهج الوصفي الذي يتلاءم وطبيعة موضوعنا. واستهلنا ورقتنا ببعض المصطلحات ومفاهيمها كمفهوم الحجج في الوضع والاصطلاح، ومفهوم الحجج التّحوي، ثم وقفنا عن المقصود بالحجج النقلية مشيرين بذلك لجملته المصادر التي عني النّحاة البصريون بأخذ مادتهم عنها، ثم عرفنا بمدونة ورقتنا البحثية "كتاب سيبويه" وأخيرا وقفنا على نماذج من كتاب سيبويه بالوصف والتحليل.

2. مفهوم الحجج (Argumentation):

الحجج موضوع تتجاذبه حقول معرفية مختلفة (الفلسفة، البلاغة، اللسانيات...)، وهو بقدر ما نجده مألوقا في ممارساتنا اليومية، نجده مثيرا للالتباس ومستعص على الإحاطة والتعريف؛ ولعل ذلك يرجع لتعدد استعماله، وتباين مرجعيته، حيث هناك الحجج الفلسفي، والحجج المنطقي، فضلا عن الحجج البلاغي والتّحوي والتّداولي المنبثق عن رؤية لسانية معاصرة (يوسف المغامسي، 2016، ص21)

1.2. مفهومه لغة:

جاء في مادة (ح ج ج)، في "مقاييس اللغة": «الْحِجَاءُ وَالْحِجِيمُ أَصُولٌ أَرْبَعَةٌ، فَالْأَوَّلُ الْقَصْدُ، وَكُلُّ قَصْدٍ حَجٌّ... يُقَالُ: حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الخُصُومَةِ» (ابن فارس، 2001، ص232)

يتبدى من هذا التعريف أنّ كلمة "الحجاج" في "مقاييس اللغة" تحمل معنى: القصد، والغلبة، والظفر عند الخصومة.

وورد في "لسان العرب": «الحجُّ: القصد... حَاجَجْتُهُ... أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَجِ الَّتِي أَذَلَّيْتُ بِهَا... التَّحَاجُّجُ: التَّخَاصُّمُ، وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ حُجَّةً لِأَنَّهَا تَحُجُّ، أَي تَقْصِدُ لِأَنَّ الحَجَّ لَهَا وَإِلَيْهَا، وَالْحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ» (ابن منظور، 1997، ص226)

لم يتعد معنى الحجج في "لسان العرب"، عمّا ورد في "مقاييس اللغة"، فهو يحيل إلى: القصد، والبرهان، والتخاصم، والغلبة بالحجة.

وجاء في "المنجد في اللغة والأدب والعلوم": «حَجٌّ، حَجًّا: غلبه بالحجة، حَاجَّ حِجَاً وَمُحَاجَّةً، خَاصَمَهُ فَحَجَّهُ، تَحَاجًّا تَحَاجًّا: تَخَاصَمًا، إِحْتَجَّ، إِدْعَى وَأَتَى بِالْحُجَّةِ» (معلوف، د-ت)، ص118)

لم يتباين مفهوم الحجج في "المنجد في اللغة والأدب" عمّا سبق ذكره، فقد ورد بمعنى: الغلبة بالحجة، والتخاصم، والإتيان بالحجج.

وعند الرجوع إلى المعاجم الغربية، نجد لفظة "الحجاج" مأخوذة من الفعل اللاتيني (Arguere) بمعنى جعل الشيء واضحًا ولامعًا، (بنور: 2008، ص25) وهي تقابل في الفرنسية لفظة (Argumentation)، التي تعني حسب قاموس "روبير" (Le grade Roberte)، «مجموعة من الحجج تهدف لتحقيق نتيجة واحدة» (Robert : 2001 , P759)

في حين تدلّ لفظة (Argue) في قاموس (Longman) للإنجليزية المعاصرة على «وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل طرف إقناع الآخر بوجهة نظره عن طريق تقديم الأسباب أو العلل التي تؤيد أو تفند فكرة، أو رأيًا، أو سلوكًا ما» (Longman : 1995, P57)

انطلاقًا ممّا سبق يتبين أنّ مفهوم الحجج في المعاجم الغربية لا يتباين ومفهومه في المعاجم العربية، فهو يحيل إلى استخدام الحجج، لمحاولة إقناع الآخر في أمرٍ متنازعٍ فيه.

2.2. مفهومه اصطلاحًا:

الحجج مفهوم قديم (علوي، 2010، ص05-06)؛ تعود بدايات البحث فيه إلى القرن الخامس قبل الميلاد (5ق.م)، حديث في الآن نفسه، غير أنّ الدلالة المعاصرة لهذا المفهوم حُمّلت جملة من الإضافات الفكرية التي تضاف إلى حمولته اللغوية والفكرية القديمة (المغامسي، 2016، ص20)، ومن تعريفاته نذكر: جاء في "المعجم الفلسفي": «الحجاج (Argumentation) جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها» (صليبا، 1982، ص446)

ما نستشقه من هذا التعريف أنّ الحجج استراتيجية لغوية ترمي إلى الإقناع، لإثبات مقبولية رأي أو دحضه بناءً على أدلة وبراهين.

وتطلق لفظة "الحجاج" عند "بيرلمان" (Ch.Perelman) و"تيتيكاه" (L.O.Tyteca) (العشرراوي، 2012، ص30) على العلم وموضوعه «ومؤدّها درس تقنيات الخطاب التي تؤدّي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة التسليم» (بوقرة، 2009، ص105) يتبين من هذا التعريف أنّ الحجج يقوم على جملة من التقنيات يتوسّلها المرسل في خطابه للتأثير على ذهن المتلقي.

فغاياته «إذعان العقل لما يطرح عليه من أفكار» (بوقرة، مرجع سابق، ص105)، وأنجع حجة هي التي تنجح في تقوية حدة إذعان المتلقي وتدفعه للمبادرة بالعمل سواء بالإقبال عليه أم الإحجام عنه. (بن ظافر الشهرري، 2004، ص456)

كما عرّف الحجاج بأنه: «تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب» (العزاوي، مرجع سابق، ص16)

يحولنا التعريف إلى أنّ الحجج يرتبط بأفعال لغوية تتحوّل إلى نتائج ممّا يعني أنّ للغة وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال.

بناءً على ذلك، يمكننا القول: إنّ الحجج فعالية لغوية ملازمة للخطاب، يعتمد على جملة من الآليات والتقنيات يستعملها المتكلم في خطابه، بغية التأثير في المتلقي.

3. الحجج في الخطاب النحوي:

وسمنا "كتاب سيبويه" بالخطاب النحوي، لأن الخطاب النحوي هو كل النصوص التي صدرت أو أنتجت من قبل النحاة قديما وحديثا في شكل دراسات وأبحاث تعنى بجوانب معينة من القواعد اللغوية وبخاصة النحوية منها، ويعدّ كتاب سيبويه أول الخطابات النحوية في تاريخ النحو (تريكي، 2013، ص67) ويدل مصطلح الحجج في النحو على ما تصح به مصطلحات النحو وأحكامه وقواعده في الوجود والجواز والامتناع (الملخ، 2011، ص124)

4. مصادر الحجج النحوي:

والحجج النحوي ينقسم إلى نوعين: الحجج باستخدام الحجج النقلية كالقرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف وكلام العرب...إلخ، والحجج باستخدام الحجج العقلية، كالقياس، والاجماع، والعامل، والعلة، واستصحاب الحال...إلخ.

وفي ورقتنا البحثية هذه سنركز على الحجج النحوي النقلية.

والمقصود بالحجج النقلية "الكلام العربي الفصيح، المنقول النقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، وعلى هذا يخرج ما جاء شاذًا من كلام غير العرب من المولدين وغيرهم، وما جاء شاذًا في كلامهم" (حسانين، 1996، ص15)

وقوله (كلام عربي فصيح): في أعلى مراتبه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم كلام العرب شعرا ونثرا.

فقد اعتمد البصريون في تأسيس نحوهم على عدة مصادر وهي: "الثابت من كلام العرب وشعرهم في الجاهلية والإسلام إلى عصر معين لا يتجاوزونه إلى غيره، وهذا كله معروف في المصادر التي عرضت للرواية، واعتمدوا على القرآن في قراءاته العالية، كما اعتمدوا على المؤيد سماعا أكيدا من أمر اللهجات واللغات الخاصة." (السامرائي، 1987، ص 141)

وفي ما يأتي تفصيل لجملة المصادر التي عني النحاة البصريون - وبخاصة سيبويه - بأخذ مادتهم عنها وهي:

1.4. القرآن الكريم وقراءاته:

1.1.4. القرآن الكريم:

هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في مختلف العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، فهو ذروة الفصاحة العليا في أنقى أصالتها (عفاف حسانين، 1996، ص 15)

ويعدّ إمام نحاة البصرة "سيبويه" أكثر النحاة تمسكاً بالشاهد القرآني، إذ الملاحظ في كتابه كثرة الحجج القرآنية وجعلها في المرتبة الأولى، وقد اتبعه جمهور النحاة البصريين من بعده في الاستشهاد به.

2.1.4. القراءات القرآنية:

تعرف بأنها «علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها، اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله» (الهادي قابة، 1999، ص 24)

وجميعها حجة في النحو فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به، ومع ذلك فجمهور النحاة البصريين لم يعتمدوها مصدرًا في استنباط القواعد، فهناك من كان يرميها بالضعف والشذوذ إن عجزوا على تخريجها وفق قواعدهم.

2.4. الحديث النبوي الشريف:

حسب المتبعين لمنهج سيبويه في كتابه فإنه لم يحتج بالحديث النبوي، حيث لم ينبه في الأحاديث التي احتج بها إلى أنها أحاديث، إنما كان يدرجها إدراجاً ضمن المادة اللغوية التي يحتج بها من منشور كلام العرب ويقدم لها بمثل ما يقدم به لتلك المادة من مثل قوله: (ومثل ذلك...) و(أما...) إلخ.

بينما أشار باحثون آخرون إلى أنه لم يحتج بالحديث أبداً في كتابه. (خديجة الحديثي، 1971، ص 50-51) وإجمالاً، فلم يُجوز النحاة الأولون "كأبي عمرو بن العلاء"، و"وعيسى بن عمر الثقفي"، و"الخليل بن أحمد الفراهيدي"، و"سيبويه"، وما إلى ذلك من النحاة البصريين والكوفيين - على حدّ سواء- الاستشهاد به في النحو.

3.4. كلام العرب شعرا ونثرا (مهدي المخزومي، 1986، ص 51-52)

1.3.4. الفصحاء من العرب

احتج البصريون بلغات أعراب البوادي الذين كانوا غير متصلين بالأعاجم وينتمون إلى قبائل: قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين.

يقول "السيوطي" أن "الفرابي" قال في كتابه المسمى "بالألفاظ والحروف": «إن الذين عنهم نُقلت اللغة، ومهم اقتدي، و عنهم أُخذَ اللسان العربيّ من بين قبائل العرب: قيس، وتميم، وأسد، فإنّ هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعلمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتّصريف، ثمّ هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يُؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم، فإنّه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري...».

2.3.4. الفصحاء من غير العرب:

واستشهد البصريون بكلام غير العرب أيضاً ممّن صحّت سلاتقهم، واطمأنّ العلماء إلى قوّة ملكاتهم "كالحسن البصريّ"، و"الحجاج بن يوسف الثقفي"، ف قيل له: (فأَيُّهما أفصح؟) قال: (الحسن)، كما استشهدوا بكلام "أبي علي الأسواري الذي جلس يعظ النّاس في مسجد نحو ستّ وثلاثين سنة، والذي كان "يونس بن حبيب" يسمع منه كلام العرب ويحتجّ به.

3.3.4. الشعر الجاهليّ والإسلامي:

وقد استشهدوا بشعر جرير والفرزدق والعجاج ورؤبة وأبي النّجم، ويذهب السيوطي إلى أن إبراهيم بن هرمة آخر من يحتج به، فهم يستشهدون بأشعار المحدثين الذين عاشوا حتى منتصف القرن الثاني للهجرة. إذ أنّ البصريين احتجوا بشعر الطّبقتين الأوّلين، ولم يحتجوا بشعر شعراء الطّبقة الثّالثة، والصّواب صحّة الاحتجاج بكلام شعراء هذه الطّبقة، وأمّا شعراء الطّبقة الرّابعة، فالصّحيح عدم الأخذ عنها، ومع ذلك نجد الإمام "سيبويه" استشهد ببعض شعر "بشار بن برد" وقيل "وذلك خوف هجائه".

4.3.4. الأمثال:

فهي مصدر مهم من مصادر الاستدلال اللّغوي والنّحوي، وهي مسموعة من الأعرابي رواية، وقد رأى فيها النّحاة مرتكزا حيا يعتمدون عليه في استنباط القواعد النّحوية... لذلك جعلوها دليلا من أدلّتهم التي يحتجّ بها لاستنباط الأصول. (سعيد جاسم الزبيدي، 1997، ص 129)

فهي عبارات جزيلة اللفظ، وشاعت على الألسنة كقول العرب (الصّيفَ ضيّعتِ اللّبن)، (رَجَعَ بخُفي حُنين)... وغيرها، أُستنبطت من كلام العرب الموثوق بفصاحتهم. (مهدي المخزومي، 1986، ص 52)

5. كتاب سيبويه:

1.5. سيبويه (180هـ):

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بن الحارث بن كعب، ولقب بسيبويه (رائحة التفاح)، لأن أمه كانت ترقصه بذلك في صغره، ولد بالبيضاء (بلد بفارس) من سلالة فارسية، ونشأ بالبصرة، ورغب في تعلم الحديث والفقه، أخذ عن الخليل وعن يونس وعيسى بن عمر وغيرهم (الطنطاوي، دت، ص 80) جرت بينه وبين الكسائي المناظرة المشهورة، وقال أبو العمر المخزومي عن سيبويه أنه كان كثير المجالسة للخليل (الزبيدي، 1973، ص 67) وخلفه بعد موته وتفرغ لتأليف "الكتاب". وتوفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، سنة ثمانين ومائة. (الزبيدي، 1973، ص 72)

2.5. الكتاب لسيبويه:

عُرف كتاب سيبويه باسم الكتاب، أو كتاب سيبويه، وليس له مقدمة ولا خاتمة رغم جلالته قدره وإحكام بنائه، ولقد سماه الناس قديماً "قرآن النحو"، ألفه بعد موت الخليل (160هـ)، شهد مولد الكتاب أبو الحسن الأخفش.

ويعد كتاب سيبويه لقاح جهود النحاة الذين سبقوه في أصول النحو ومسائله ومقاييسه وعلله، فهو جامع لأصول النحو وفروعه (سيبويه، 1988، ص 24-43) قسّم سيبويه الكتاب قسمين: الأول: للنحو، ومباحثه، والثاني: للصرف مفصلاً كل مبحث تفصيلاً تاماً، وختم مباحث الصرف بمادة صوتية ك: الكلام عند الإمالة، والوقف، والإشمام، والإشباع. وانطلاقاً من الكتاب استطاع الدارسون تحديد منهج المدرسة البصرية في دراسة اللغة والنحو، وموقفها من مصادر اللغة، فقد اشتمل كتاب سيبويه على حجج كثيرة، فكان موسوعة لغوية عامة وموسوعة نحوية وصرفية خاصة، فهو أول كتاب جمع مسائل النحو على اختلافها. وقال أبو إسحاق الزجاج: إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة (الزبيدي، 1973، ص 72)، ولأنه كان عالماً مقتدراً في اللغة فحق لكتابه أن يعدّ قرآن النحو.

5. نماذج من الحجاج النقلي في كتاب سيبويه :

1.6. النموذج الأول: (سيبويه: 1988، ص 69)

يقول سيبويه في باب هذا باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن:

(فمن ذلك قوله تعالى: لا عاصمَ اليومَ من أمرِ اللهِ إلا من رَحِمَ أي: ولكن قوم يونس، وقوله تعالى: فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقيةً يهتدون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم أي: ولكن قليلاً ممن أنجينا منهم. وقوله عز وجل: الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفعُ اللهِ أي لكنهم يقولون ربنا الله. وهذا الضرب في القرآن كثير)

الملاحظ في نص سيبويه في هذا الباب أنه:

اعتمد على مصدر واحد من مصادر الحجج النحوي وهو القرآن الكريم حيث كان منهجه في هذا النص كالاتي:

- إفراد الشاهد من القرآن الكريم (سورة هود، من الآية 43، سورة يونس، من الآية 98، سورة هود، من الآية 116، سورة الحج، من الآية 40 على الترتيب).
- التقديم الآيات القرآنية بما يدل على أنّها كلام الله عز وجل.
- كذلك ذكر الآيات كاملة.
- عدم ذكر اسم السور القرآنية ولا رقم الآيات.

2.6. النموذج الثاني: (سيبويه: 1988، ص 445)

قال سيبويه في باب هذا باب ما ينتصب خبره لأنه معرفة وهي معرفة لا توصف ولا تكون وصفا: (ولا يكونان وصفا، كما لا يكونان موصوفين، يعني: كل، وبعض. قال: وإنما يوضعان في الابتداء، أو بينان على اسم بالابتداء، نحو قوله: **وَكُلُّ أُنثَىٰ دَاخِرِينَ**، فأما جميع فيجري مجرى رجل ونحوه في هذا الموضع. قال الله عز وجل: **وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** وقال: **انتمم والقوم جميع، أي: مجتمعون**)

الملاحظ في نص سيبويه في هذا الباب أنه:

- التنوع في الحجج بين حجج قرآنية وكلام العرب نثرا.
- تقديم الحجج القرآنية على كلام العرب وهذا هو الأصل، لأن القرآن يمثل أعلى درجات الفصاحة.
- غلبة الحجج القرآنية على كلام العرب، حيث أورد شاهدين من القرآن (الآية 87 من سورة النمل، والآية 32 من سورة يس) مقابل شاهد واحد من كلام العرب.
- التقديم للآيات القرآنية بما يدل على أنّها كلام الله عز وجل بقوله: (قوله عز وجل، وقال عز وجل)
- ذكر سيبويه الآيتين القرآنيتين تامتين.
- عدم ذكر اسم السورة ولا رقم الآيات.

3.6. النموذج الثالث: (سيبويه: 1988، ص 445)

قال سيبويه: هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم

(فمما جاء في الرفع قوله عز وجل: **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ** (ولو قال " وجوههم مسودة " لجاز على البدل، والرفع أجود. قال): ومما جاء في النصب قول العرب: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها. (ولو قال " يداها أطول من رجلها " جاز. قال): وحدثنا يونس أن العرب تنشد هذا البيت وهو لعبد بن الطبيب:

فما كان قيس هللكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

(فهذا على قوله: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها، جعل "هلك" الأول بدلا من "قيس"، والثاني خبرا لكان، وعلى الوجه الآخر- وهو الاختيار- هللكه هلك واحد، والهلك الأول ابتداء والثاني خبره، والجملة في موضع خبر "قيس". وقال رجل من خثعم أو بجيلة:

ذريني إن أمرك لن يطاعا ... وما ألفتيني حلبي مضاعا

(فالحلم بدل من النون والياء). وقال الآخر في البديل: إنَّ عليَّ الله أن تبايعا ... تؤخذ كرها أو تجيء طائعا)

الملاحظ في هذا النص أن سيبويه اعتمد على حجج متنوعة، تنوعت بين الشاهد القرآني، وشواهد من كلام العرب شعرا ونثرا.

من ذلك استشهاده بالآية 60، من سورة الزمر.

ومن الحجج أيضا (كلام العرب نثرا) كقوله: (قول العرب: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها)

ومن الحجج أيضا من (كلام العرب شعرا) البيت الشعري

فما كان قيس هللكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

ذريني إن أمرك لن يطاعا ... وما ألفتيني حلبي مضاعا

لذلك فالملاحظ في هذا النص أن منهج سيبويه في الاستشهاد بالحجج النقلية كان كالآتي:

- التنوع في الحجج بين حجج من القرآن الكريم، وحجج من كلام العرب شعرا ونثرا.
- قدّم سيبويه الحجة القرآنية على الحجج من كلام العرب.
- مهّد سيبويه للآيات القرآنية ممّا يدل على أنّه كلام الله عز وجل بقوله: (قوله عز وجل)
- ذكر سيبويه الآية القرآنية تامة.
- ولم يذكر اسم السورة القرآنية ولا رقم الآية.

4.6. النموذج الرابع: (سيبويه: 1988، ص 324)

قال سيبويه: هذا باب يجري النعت على المنعوت

(ومنه أيضا: مررت بثلاثة نفر: رجلين مسلمين، ورجل كافر، جمعت الاسم وفصلت العدة، ثم نعتّه وفسّرتّه، وإن شئت أجريته مجرى الأول في البديل والابتداء، قال العجاج:

خوى على مستويات خمس ... كركرة وثففات ملس

فهذا يكون على وجهين: على البديل وعلى الصفة. (ومثل ما يجيء في هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة، قوله تعالى: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ. ومن الناس من يجر، والجر على وجهين: الصفة والبديل، ومثله قول كثير عزة:

وكننت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت)

الملاحظ في هذا النص لسيبويه أنه:

- نوع في الحجج بين حجج قرآنية وكلام العرب شعرا.
- قدم الحجة من كلام العرب شعرا على الحجة من القرآن.
- غلبة الحجج من كلام العرب شعرا (حجتين من كلام العرب شعرا) في المقابل شاهد واحد من القرآن الكريم (الآية 13 من سورة آل عمران)

خوَى على مستويات خمس ... كركرة وثففات ملس

وأيضا:

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقد ذكر سيبويه قائلا البيتين الشعريين، بينما في مواضع أخرى من الكتاب لم يذكر،

قال الجرمي: نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألفٌ وخمسون بيتا، فأما الألف فعرفت أسماء قائلها، وأما الخمسون فلم أعرف قائلها (الزبيدي، 1973، ص75)

• قدم الآيات القرآنية بما يدل على أنها كلام الله عز وجل.

• ذكر الآية القرآنية كاملة

• لم يذكر اسم السورة ولا رقم الآية

فالملاحظ على حجج سيبويه في كتابه - انطلاقا من النماذج السابقة - أنّ لها مصدران هما القرآن الكريم، وكلام العرب شعرا ونثرا.

والنصيب الأوفر بعد القرآن الكريم كان للشعر مقارنة بالنثر.

6. خاتمة:

ونلخص أخيرا ونحن نقف عند مصادر الحجج النقلي في الخطاب النحوي البصري متخذين نماذج من كتاب سيبويه أنموذجا لدراستنا إلى الآتي-وذلك انطلاقا من النماذج التي وقفنا عليها بالتحليل:-

• أولى سيبويه اهتماما كبيرا في الاحتجاج بالقرآن الكريم، فالقرآن عنده من أهم مصادر الحجج النحوي .

• يعد كتاب سيبويه نموذجا نحويا للاحتجاج بالحجج النقلية.

• الخطاب النحوي خطاب مشحون حجاجيا، لذلك يعد خطابا تأثيريا، إذ أن الحجج فيه ضرورية فإثبات القاعدة اللغوية يتوقف على الاعتماد على الحجج التي ستوضحها وتفسرها وتقدمها في صورة يفهمها المتلقي.

• الحجج النحوي آلية لغوية لا مفر منها في الخطاب النحوي، ولا تخلو الكتب النحوية من الحجج لأن الحجج في الخطاب النحوي كالمح في الطعام، وهي تأخذ محل الأمثلة التي يعتمد عليها كثيرا

في الخطاب النحوي.

- وظيفة الخطاب النحوي غير وظيفة الخطاب الأدبي، فإن كان الأول يثير الحاسة الفنية، فالثاني يعلل الظواهر اللغوية، ويفسرهما ويصفها، ويشرحها.
- الخطاب النحوي متمثلاً في كتاب سيبويه خطاب حجاجي واصف وشارح.
- تعدد الحجج النقلية ضرورية في الخطاب النحوي، وبخاصة القرآن الكريم، فهو أصدق مرجع، وأصح مصدر يرجع إليه النحاة في تقنين القوانين، واستخراج الأصول، لأن العربية لم تشهد كتاباً أحيطَ بالعناية، واكتُنِفَ بالرعاية مثله.
- جاء كلام العرب شعراً ونثراً في المرتبة الثانية من حيث الاحتجاج به في كتاب سيبويه.

7. إشارات وهوامش البحث:

- ¹ ينظر: أمال يوسف المغامسي: الحجج في الحديث النبوي "دراسة تداولية"، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2016، ص21.
- ² ابن فارس [أبو الحسن أحمد (ت395هـ)]: مقاييس اللغة، تح/ محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، مادة (ح ج ج)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص232.
- ³ ابن منظور [أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت811هـ)]: معج/2، مادة (ح ج ج)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997م، ص226.
- ⁴ لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، مادة (ح ج ج)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط19، (د-ت)، ص118.
- ⁵ ينظر: عبد الرزاق بنّور: جدل حول الخطابة والحجاج، الدار العربية للكتاب، تونس، (د-ط)، 2008م، ص25.
- ⁶ Paul Robert : Le grade Roberte De Langue Française, Paris, France, 2°ed, 2001, Tome I, P759.
- ⁷ Longman : Dictionary of Contemporary English, Longman, Great Britain, 3°ed, 1995, P57.
- ⁸ نشأ الحجج في القرن (5ق.م)، وسط البيئة اليونانية، نتيجة الخطابات السفسطائية حول الملكية. ينظر: حافظ إسماعيل علوي: الحجج مفهومه ومجالاته "دراسة نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة"، ج/1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د-ط)، 2010م، ص(05-06).
- ⁹ أمال يوسف المغامسي: الحجج في الحديث النبوي "دراسة تداولية"، مرجع سابق، ص20.
- ¹⁰ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج/1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د-ط)، 1982م، ص446.
- ¹¹ يعدّ "بيرلمان" (Ch.Perelman) و"تيتيكاه" (L.O.Tyteca) من رواد المدرسة البلجيكية، سبّي توجيههما بنظرية الحجج، أطلقا عليها (La nouvelle Rhétorique) "البلاغة الجديدة"، لهما مصنف مشترك "مصنّف في الحجج والبلاغة الجديدة"، حاولا فيه بثّ نظرية جديدة في الحجج. ينظر: عبد الجليل العشاوي: الحجج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص30.
- ¹² نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب "دراسة معجمية"، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص105.
- ¹³ نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب "دراسة معجمية"، مرجع سابق، ص105.

- ¹⁴ عبد الهادي بن ظافر الشَّهري: استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية"، دار الكتاب المتَّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص456.
- ¹⁵ أبو بكر العزاوي: اللُّغة والحجج، العمدة في الطُّبع، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006 ص16.
- ¹⁶ ينظر: مبارك تريكي، تداولية الخطاب النحوي وآثارها في تحليل الخطاب، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2، عدد 1، جوان 2013، ص67.
- ¹⁷ حسن خميس الملوخ، الحجج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011، ص124.
- ¹⁸ ينظر: عفاف حسنين، في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص15.
- ¹⁹ ينظر: إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر، عمان، ط1، 1987، ص141.
- ²⁰ ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص51-52.
- ²¹ ينظر: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص24.
- ²² ينظر: خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الرشيد، العراق، دط، 1971، ص50-51.
- ²³ ينظر: سعيد جاسم الزبيدي، القياس في اللغة العربية نشأته وتطوره، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص129.
- ²⁴ ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وأشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص80.
- ²⁵ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1973، ص67.
- ²⁶ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين مرجع سابق، ص72.
- ²⁷ ينظر: كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، ص24-43.
- ²⁸ الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، مرجع سابق ص72.
- ²⁹ كتاب سيبويه، مرجع نفسه، 68.
- ³⁰ مرجع نفسه، ص445.
- ³¹ مرجع نفسه، ص445.
- ³² مرجع نفسه، ص324.
- ³³ ينظر ترجمته: الزبيدي: مرجع سابق، ص75.